Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

# المقامة المضيرية

## بديع الزمان الهمذاني

حدَّثنا عيسى بن هشام قال :

كُنتُ بالبصرة ، ومعي أبو الفتح الأسكندريُّ ، رجلُ الفصاحة يدعوها فتُجيبُهُ ، والبلاغة يأمُرُها فتُطيعُهُ ، وحضرنا معه دعوة بعض التجار فقُدِّمت إلينا مَضيرة تثني على الحضارة[1] ، وتترجرجُ في الغضارة ، وتُؤذِنُ بالسّلامة ، وتشهدُ لمعاوية رحمهُ اللهُ بالإمامة ، في قَصعَةٍ يزِلُّ عنها الطّرفُ ، ويموج فيها الظَّرْفُ ، فلمّا أخذَتْ من الخُوانِ مكانها ، ومن القُلوب أوطانها ، قامَ أبوالفتح الإسكندريّ يلعنُها وصاحبَها ، ويمقُتُها وآكلَها ، ويثلِبها وطابخَها وظننّاهُ يمزحُ ، فإذا الأمرُ بالضِّدِّ ، وإذا المزاحُ عينُ الجدِّ ، وتنحّى عن الخُوانِ ، وتركَ مساعدةَ الإخوان ، ورفعناها فارتفعت معها القُلوب ، وسافرت خلفَها العيُونُ ، وتحلّبَت لها الأفواهُ وتلمظّت لها الشِّفاهُ ، واتَّقدت لها الأكبادُ ، ومضى في إثرها الفُؤادُ ، ولكنّا ساعدناهُ على هجرها ، وسألناهُ عن أمرها . فقال : قصتّي معها أطولُ من مُصيبتي فيها ، ولو حدَّثتكم بها لم آمن المقتَ ، وإضاعة الوقت ، قُلنا هات . قال : دعاني بعضُ التُّجارِ إلى مَضيرة وأنا ببغداد ، ولزمني مُلازمة الغريم ، والكَلْبِ لأصْحابِ الرَّقيم[2] ، إلى أنْ أجَبْتُهُ إليها ، وقُمْنا فجَعَلَ طُولَ الطَّريقِ يُثني على زَوْجَته ، ويُفدِّيها بمُهْجَته ، ويَصِفُ حِذْقَهَا في صَنْعتِهَا ، وتأنُّقَها في طَبْخِهَا . ويَقُولُ : يا مَوْلايَ لَو رَأيْتَهَا ، والخِرْقةُ في وسَطِها ، وهي تدور في الدُّور ، منَ التَّنُّورِ إلى القُدُورِ ومِنَ القُدُورِ إلى التَّنُّورِ ، تَنْفُثُ بِفِيهَا النَّارَ ، وَتَدُقُّ بيَديها الأبْزَارَ . ولَوْ رَأيْتَ الدُّخانَ وَقَدْ غبَّرَ في ذلك الوَجْه الجَميل ، وَأثَّرَ في ذَلكَ الخدِّ الصَّقيل ، لرأيْتَ مَنْظراً تحارُ فيه العُيُونُ . وأنا أعْشَقُهَا لأنَّها تَعْشقُني . وَمِنْ سَعَادة المَرءِ أنْ يُرْزَقَ المُساعَدةَ منْ حَليلَته ، وَأنْ يَسْعَدَ بظَعينَته[3] ، ولا سيَّما إذا كانَتْ منْ طينَته . وَهيَ ابْنة عمّي لَحّاً [4]، طينتُهَا طينَتي ، وَمَدينَتُهَا مَدينَتي ، وَعُمومَتُهَا عُمومَتي ، وَأرُومَتُهَا أرُومَتي . لكنَهَا أوْسَعُ منِّي خُلْقاً وأحْسَنُ خَلْقاً . وصَدَّعني بصفات زَوْجَته ، حتَّى أنْتَهَيْنَا إلى مَحلَّته ، ثم قال : يا مولاي ، ترى هذه المَحلَّة ؟ هي أشْرَفُ مَحَالِّ بغْدَادَ يَتَنَافسُ الأخْيارُ في نُزولها ، ويَتَغاير الكبَار في حُلولها . ثُمَّ لا يسْكُنُهَا غيرُ التُّجَّار . وإنَّما المرْءُ بالْجارِ وداري في السُّطَةِ [5] من قلادَتِها ، والنُّقْطَةِ من دائرتها ، كم

(١) أي : تدلُّ على أن أهل الحضَر أقْدرُ من البدْوِ في صنع المضيرة وهي نوع من الأكل فتشهد لهم بطول الباع في صنع ألوان الطعام .

(٢) أصحاب الرقيم : هم أصحاب الكهف الذين جرى ذكرهم في الكتاب العزيز .

(٣) ظعينته : أراد بها هنا امرأته .

(٤) لحاً : أي قرابة متصلة .

(٥) السطة : الوسط .